مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد السابع ( ديسمبر 2019 م )
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

# الدور السياسي والثقافي للطريقة الشيخية في مناهضة الاستعمار الفرنسي في الجزائر

د. ميلود ميسوم/ جامعة الشلف
د. بغداد غربي/ جامعة الشلف

## ملخص

تتناول الورقة السياق التاريخي للطريقة الشيخية من خلال إبراز مدى إسهاماتها السياسية والثقافية في العهد الاستعماري، وأن أبرز ميزة في المقاومات الجزائرية للمستعمر الفرنسي تمثلت في ارتباطها الوثيق بظاهرة الزعامة الدينية في جميع التجارب التي شهدها القرن التاسع عشر، ونؤكد ذلك من خلال ما جاء في دراسات المؤرخين الجزائريين ، الدكتور أبو القاسم سعد الله والدكتور جمال قنان على أنه منذ بداية عام 1832م تزعم رجال من الآسرة الدينية حركة المقاومة بشكل كاد أن يكون مطلقا.

**الكلمات المفتاحية:** الطريقة الشيخية، الزوايا الشيخية، التصوف الاسلامي، المستعمر الفرنسي.

## Political and cultural role of the sheikh way (Tariqa Cheikhiyya) in opposing the French colonialism in Algeria

### Summary

This paper deals with the historical context of the « sheikh way » (Tariqa cheikhiyya) by highlighting the extent of political and cultural contributions in the colonial era, and that the most prominent feature in the Algerian resistances to the colonist represented in its close association with the phenomenon of religious leadership in all experiences of the 19th century. And we confirm through the studies of Algerian historians, Dr. Abu lQasim Saadallah and Dr. Jamal Ganan that since the beginning of 1832, men from religious family led resistance movement almost to be absolute.

**Key words:** Sheikh way (Tariqa Cheikhiyya), Zawaya cheikhiyya, Islamic Suffism, French Colonizer.

**تقديم:**

كان للمؤسسات الصوفية في الجزائر قبل مرحلة الاستعمار مكانة ودورا على الساحة الاجتماعية، ويذكر ذلك الشيخ عبد الرحمان الجيلالي – رحمه الله– في كتابه تاريخ الجزائر العام في قوله " إن من أهم أحداث هذا القرن السادس عشر ميلادي أن اتسع فيه نشاط الفرق والطوائف الصوفية، التي كان من فضلها ومن بين محاسنها أو محاسن بعضها في الميدان الاجتماعي على الأقل ، أن بعثت بالتقاليد الإسلامية في كثير من الجماعات البربرية التي ظلت حتى ذلك الوقت بعيدة عن التأثر بالثقافة الإسلامية، كما عملت على التقريب بين عناصر السكان ، إن لم تكن قد جعلت منهم وحدة متكاملة "[1].

كما أن أبرز ميزة في المقاومات الجزائرية للمستعمر الفرنسي تمثلت في ارتباطها الوثيق بظاهرة الزعامة الدينية في جميع التجارب التي شهدها القرن التاسع عشر ، ونؤكد ذلك من خلال ما جاء في دراسات المؤرخ الدكتور جمال قنان على أنه منذ بداية عام 1832م تزعم رجال من الآسرة الدينية حركة المقاومة بشكل كاد أن يكون مطلقا[2]، ويدعم ذلك شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله فكرة تبوؤ الزعماء الدينيين قيادة المقاومة الوطنية [3]. وتحتل الطرق الصوفية أهمية كبرى في الحياة الفكرية، وتعد من القضايا الفكرية المعقدة في التاريخ الإسلامي الثقافي والديني، الأمر الذي دفع أحد المستشرقين إلى القول إن المستقبل في العالم الإسلامي سيكون حتما للتيار الصوفي، ويرى أن الصوفية قد مارسوا السياسة في أحيان كثيرة، كما مارسوا أدوارا ثقافية، وللطريقة الشيخية إسهامات سياسية وثقافية في العهد

1 . صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر(تاريخها ونشاطها)، ط1، دار البراق ، لبنان ، 2002، ص 20.

2 . جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المجاهد، الجزائر، 1990.، ص 105.

3 . أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ط1، ج1، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص 117.

الاستعماري، وستحاول هذا الورقة الكشف عن هذه الأدوار والإسهامات من خلال شيوخ وعلماء الطريقة الشيخية.

**1- نشأة التصوف وانتشاره في الجزائر :**

بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظريا ، ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري واتجه إلى الناحية العملية وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية ، وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية والمناطق المحيطة بها ، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن فلقد انطلق منها رجالات التصوف الكبار من أمثال أبو زكريا الزواوي وأبو زكريا السطيفي ويحيى العيدلي والشيخ أبي مدين الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان وتوفي 595ه ، 1197م، ومنها انتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى . فلقد كان الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أحد أوائل وأوتاد الطريقة الصوفية في الجزائر وقد عرفت طريقة "المدينية " شهرة واسعة وأتباعا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي وازدادت شهرته على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش (665ه) ثم تطورت وأحياها من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش "أبو الحسن الشاذلي " نسبة إلى قرية شاذلية بتونش وتوفي بأرض الحجاز سنة 655ه وكان لتعاليم الشاذلي تأثير مهم في الجزائر بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ .وبذلك أخذ التصوف يدخل من شرق ومن غرب الجزائر وترجع عوامل وأسباب انتشار التصوف وطرقه بالجزائر إلى عدة أسباب منها ما هو فكري وما هو سياسي وما هو اجتماعي[1].

1 . طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري،في، مجلة معارف ( مجلة علمية محكمة) ، مجلد 8، عدد 14، جامعة البويرة،أكتوبر 2013، ص 136.

## 2- الطريقة الشيخية : نشأتها وتطورها

تعرف الطريقة اصطلاحاً على أنها اسم لمنهج أحد العارفين في التزكية والتربية والأذكار والأوراد أخذ بها نفسه حتى وصل إلى معرفة الله، فينسب هذا المنهج إليه ويعرف باسمه، فيقال الطريقة الشيخية والقادرية والشاذلية نسبة لرجالاتها، وهي ليست فرًقا إسلامية، وجميعها تتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية، وتتبع أحد المذاهب الأربعة السنية، والاختلاف بينها إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلى الله[1].

وتنسب الشيخية إلى الولي الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد ين سليمان بن بوسماحة (1544- 1616) الملقب بسيدي الشيخ دفين البيض ، وأصولها ترجع إلى عدة طرق منها القادرية والشاذلية والطيبية والصديقية والبكرية، وأنه قد أوصى أولاده عند وفاته باتباع الشادلية[2].

ولقد كان أسلافه البوبكرية متصوفة ينتمون إلى الطريقة الشاذلية، استقروا في مصر وفي تونس وأخيرا في جنوب الجزائر بعد طردهم من مكة في بداية القرن الرابع عشر. وبعد تعلمه القرآن وبعض العلوم أخرى في بلاده، رحل إلى المغرب بقصد ملاقاة بعض شيوخ الشاذلية. وفي قصر الساحلي، التقى بالشيخ محمد بن عبد الرحمن الساحلي (الذي توفي سنة 1581م) والذي لقنه وبقي برفقته لسنوات طويلة. ولقد أوصاه هذا الأخير بالرحيل إلى فكيك في جنوب المغرب من أجل نقل تعاليم الطريقة، وسرعان ما اشتهر وكان له تأثير في الصحراء وخصوصا في منطقة القصور. وبعمله الخير هدأت الصراعات بين القبائل وجعل من زواياه ملتقيات

1 - خير الدين شترة، الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية (1830- مطلع القرن 20)الطريقة الشيخية أنموذجا ، ع18، ، في ، مجلة الحقيقة ، جامعة أدرار، ص 123. للإطلاع على المقال، انظر https://www.asjp.cerist.dz/en/article/23285

2 - عبد القادر خليفي، مقدمة: قراءة في الطريقة الشيخية لأبي القاسم سعد الله من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي ، في، عصور جديدة ، ع21-22، جامعة وهران، ماي 2016، ص 241.

للمعرفة والكرم ورباطات للجهاد ضد الهجمات الإسبانية في وهران. توفي الشيخ سنة 1212م ودفن في البيض جنوب الجزائر[1].

في وصيته اعتق رقاب العبيد وعينهم وذريتهم مقدمين للزاوية، خلف الشيخ ابنه أبا حفص فاختلطت سلسلة الشيخية بسلالة الشيخ. ومنذ ذلك الحين، حمل المنتسبون إلى الشيخية لقب " أولاد سيدي الشيخ[2]". كانت الشيخية مصدر العديد من الانتفاضات ضد الجيش الفرنسي وثورات القبائل الرحل[3].

ويذكر أن عائلة سيدي الشيخ كانت ذات مكانة مرموقة بين الناس، وزادها موقعها الجغرافي على مشارف الصحراء قيمة ورفعة، كما أن دور أولاد سيدي الشيخ، في العهد الاستعماري، كان مزدوجا، فمرة يثورون على الفرنسيين ومرة يخضعون لهم ويخدمونهم. وأنهم نشروا طريقتهم الدينية عن طريق سلطتهم التي أسسوها في منطقتهم وبحكم وظائفهم الإدارية أو الزمنية، إلا أن دورهم –كما يقول بعض الدارسين–يتضاءل كلما سكنوا المدن، وأن قُوَّتَهم تكمن في بداوتِهم. ويذكر سعد الله

1 – الشيخ خالد بن تونس: التصوف الإرث المشترك( مئوية الطريقة الصوفية العلاوية 2009–1909م)، زكي بوزيد للنشر، فرنسا، 2009م،ص111.

2 – تشير الوثائق التاريخية أن أجدادهم الأوائل هاجروا من المدينة المنورة بالحجاز إلى صعيد مصر ، وبقوا هناك فترة قصيرة ، ثم انتقلوا بعدها إلى تونس وذبك في القرن 14م ، ثم هاجروا ليستقروا نهائيا بالمغرب الأوسط تحت قيادة سيدي معمر الذي كان يعد من الأولياء الصالحين ، ولقد استقرت أغلبيتهم بالجنوب الغربي الجزائري بمنطقة البيض حيث كانت تنتشر وديان وشطوط. انظر ، بودواية مبخوت، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية، في، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر.عدد خاص أفريل 2008، ص 352.

3 – عبد الله رزوقي ، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية "نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي" 1288هـ 1860م، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2017/2016، ص 142.

اتصال الأمير عبد القادر بهم وطلبه منهم الوقوف إلى جانبه، لكنهم اعتذروا له لفقرهم وعزلتهم فقبل منهم ذلك مؤقتا[1].

تعلم عبد القادر بن محمد على يد أبناء عمومته الذين اشتهروا بشرقي المغرب وبالجنوب الغربي الجزائري كمرابطين بوبكريين، يكن لهم سكان المنطقتين كل الاحترام والتقدير ، لما تميزوا به من مكانة اجتماعية منذ استقرارهم هناك، حيث تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمان السهلي صاحب زاوية السهول، وأخذ كذلك عن الشيخ أحمد بن موسى السملالي السوسي الشهير ، واستقر بفيجيج وأنشأ بها زاوية بقصر الحمام الفوقي ، فكثر أتباعه وذاع صيته في المنطقة وجاءه الطلاب والمريدون من كل مكان قصد نيل البركة وأخذ الأوراد وصقل مداركهم الصوفية ، ونخص بالذكر منهم أحمد بن أبي محلى الساوري من بني عباس الذي لازمه لمدة وصاهره ثم انقلب ضده لأسباب لم يصرح بها ، وألف فيه مجموعة من التآليف ملأها قدحا وتشهيرا ، فرد عليه شيخه المترجم له بقصيدته الثانية المسماة الياقوتة في التصوف ، وهي عبارة عن قصيدة منظومة تتكون من 178 بيتا، أبز فيها تجربته الصوفية ومعراجه الروحي ، في حين دافع عنه وأخلص له فقهاء فجيجيون آخرون ميالون لعلم الباطن[2] .

توفي الشيخ سنة 1616م ودفن في البيض جنوب الجزائر، وفي وصيته اعتق رقاب العبيد وعينهم وذريتهم مقدمين للزاوية، خلف الشيخ ابنه أبا حفص فاختلطت سلسلة الشيخية بسلالة الشيخ. ومنذ ذلك الحين، حمل المنتسبون إلى الشيخية لقب " أولاد سيدي الشيخ". كانت الشيخية مصدر العديد من الانتفاضات ضد الجيش الفرنسي وثورات القبائل الرحل. وفي سنة 1939م، التحق سيدي حمزة (المتوفى سنة 1921م) على رأس فرقة من رجاله بحملة الأمير عبد القادر ضد الجيش الفرنسي في عين ماضي بالأغواط(الجزائر). وابتداء من سنة 1979م، منع الجيش الفرنسي على القبائل الرحل التنقل. كان الشيخ بوعمامة

1- عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص 241.

2 - خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 331.

المشهور(المتوفى 1909م)، والذي هو عاشر خلفاء الشيخ عبد القادر، مجددا ومتقلدا أيضا مهمة قائد حربي. وبعد جمعه ألفي رجل من مريديه، أطلق الثورة الأولى يوم 27أبريل 1991م، قرب عين الصفراء. ومن أجل الانتقام، قام العقيد نيكريي بقصف ضريح سيدي الشيخ يوم 19غشت 1991م، وفجر الجنرال لويس العديد من القصور وكذا زاوية بوعمامة. ثم تواصلت الثورة إلى غاية 1999م. ولقد كانت إحدى أهم الثو ارت في القرن التاسع عشر بعد ثورة الأمير عبد القادر[1].

استقر الشيخ بوعمامة، بعد نفيه إلى المغرب، في نواحي وجدة، وتوفي سنة 1909م، ودفن قرب مدينة العيون الشرقية. وقد خلفه ابنه الطيب(المتوفى سنة 1934م)، والذي أثار ريبة الجيش الفرنسي، فاعتقل وسجن في المغرب ثم في الجزائر بالأغواط. وكان يتراسل مع الشيخ العلاوي ويستشيره في العديد من القضايا الدينية. انتشرت الشيخية في كل أنحاء المغرب الكبير وخصوصا المغرب، ويتولى شؤونها حاليا الشيخ حمزة بن عبد الحكيم بن بوعمامة[2].

**3- الدور الثقافي والسياسي للطريقة الشيخية :**

لعبت الطرق الصوفية وزواياها في الجزائر وكل بلدان المغرب الإسلامي أدوارا مهمة في الحياة الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

**أ-الدور الثقافي:**

لقد أنشأ سيدي الشيخ طريقة دينية ودنيوية تمكن بواسطتها أن يفرض على الأهالي نظاما أنهى به الفوضى والاضطرابات التي كانت تحدث بين أفراد العائلة كما فرض عليهم ضريبة عينية سنوية، وقد أصبحت زاويته قبلة تحج إليها القبائل المجاورة، وقد عرفت هذه الزاوية بزاوية سيدي الشيخ، وكانت تتسم بنظام دقيق ، إذ

1 - الشيخ خالد بن تونس، مرجع سابق، 111.

2 - عبد الله رزوقي ، مرجع سابق، ص 142.

كان يشرف على إدارتها خدام جيء بهم من الجنوب الشرقي (تقرت) وقد تمثلت مهمتهم في الإشراف على المداخيل الزراعية والضرائب والزيارات والهدايا[1].

اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار والكبار، وساعد ذلك على انتشار القراءة والكتابة، وحماية القرآن الكريم من النسيان والضياع والاندثار ، فكان أغلب الناس كبارا وصغارا يحفظونه كله أو جله، أو بعض أجزائه، وكان معظم الناس في القرى والمداشر في الأرياف والمدن يحفظونه ويطبقون تعاليمه الدينية والمادية، خاصة مايتعلق بالسلوك والأخلاق العامة الشخصية والجماعية.

كما أن الزوايا الشيخية احتضنت اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية وأنفقت بسخاء على تعليمها وتدريسها، ونشرها في كل أوساط المجتمع ، وكان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة في أوسع مجالاتها، وخرجت أجيالا من العلماء الكبار والفقهاء والقضاة وكبار المفكرين .[2]

أ- **الدور السياسي**:

بعد الانتصارات الباهرة للماريشال بوجو Bugeaud على القوات المغربية في موقعة إيسلي بالحدود المغربية الجزائرية توجت بالمعاهدة الأولى وعرفت بمعاهدة طنجة في 10 سبتمبر 1844 ، ونصت في بندها الرابع على محاصرة مقاومة الأمير عبد القادر بالحدود المغربية الجزائرية من طرف القوات المغربية غربا والقوات الفرنسية شرقا[3].

أما المعاهدة الثانية فهي معاهدة لالة مغنية المبرمة يوم 18 مارس 1845 ، والتي تعد الفيصل بين النزاع المغربي الفرنسي على الحدود، حيث بموجب هذه الاتفاقية

1 – بودواية مبخوت، مرجع سابق، ص 353.

2 – يحيى بوعزيز، الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالزائر، في مجلة الحضارة الإسلامية، وهران، volume2 , numero 2، ص 204. للاطلاع على المقال، انظر، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/50832

3 . بودواية مبخوت، مرجع سابق، ص353.

حددت الحدود الشمالية بين الجزائر والمغرب وحدد معها مصير بعض القبائل المتواجدة على هذا الخط والتي كان لها ذلك التأثير الديني على المنطقة وما جاورها ، ومن بين هذه القبائل قبيلة أولاد سيدي الشيخ وزاويتهم الشهيرة .

لقد أعطت معاهدة لالة مغنية 1845[1] الضوء الأخضر للحد نهائيا من مقاومة الأمير عبد القادر ومواصلة فكرة احتلال المناطق الداخلية والجنوبية وإخضاع الأهالي، وكذلك الاشراف على مرور المواد المصنعة القادمة من أسواق الشمال مستعملة الطرق الصحراوية، وبصفة رسمية وواضحة قام وزير الحربية في عهد الملك لويس فيليب Louis Philip وهو الماريشال سولت Soult سنة 1845 في تقرير رفعه إلى الملك بتحديد الغايتين الاستراتيجية والتجارية من توسيع الاحتلال إلى الجنوب ، وجاء في التقرير يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة بعد التلال ، صنفا ثالثا من الجهات الإدارية ، ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين ... وهذه المناطق ستفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة[2].

وهو ما قامت به السلطات الفرنسية باحتلالها للجنوب والحد من سيطرة أولاد سيدي الشيخ الدينية والدنيوية على المنطقة وإرغامها على الانضواء تحت السيطرة الفرنسية بالجزائر' لاسيما الفرع الشرقي ، التي حاولت فرنسا أن تجعل منه وسيلة لتوسعها نحو الجنوب الغربي الكبير ، حيث عينت سيدي حمزة ولد أبي بكر بعد مشاورات خليفة على الجنوب الجزائري سنة 1850، والذي قاد حملات عسكرية الى جانب الفرنسيين في إخضاعهم للقبائل الثائرة كقبائل حميان الشفاعة القاطنة على الحدود المغربية الجزائرية أفريل 1853، وقد تفطن أولاد سيدي الشيخ لنوايا الفرنسيين لاسيما بعد مقتل كل من سي حمزة ولد أبي بكر بالعاصمة وابنه سي أبوبكر بن حمزة في 22 جويلية 1862، وعزل القائد سي الزوبير من أغاوية ورقلة وتعيين

1 . قادة دين ، الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ، في، مجلة عصور الجديدة، مجلة دولية أكاديمية محمكة، مجلد 7، عدد 27، جامعة وهران، أكتوبر 2017، ص 2015-.218.

2 – بودواية مبخوت، مرجع سابق، ص354.

شقيقه سي لعلا بن أبوبكر ، بالإضافة إلى شعور أولاد سيدي الشيخ بأنهم أصبحوا موظفين قابلين للعزل والتغيير ، الأمر الذي دفع بهم إلى إعلان الانفصال عن الفرنسيين ومحاربتهم في عدة مواقع بزعامة كل من سي سليمان بن حمزة الذي استجابت لدعوته قبائل عديدة من بينها أولاد زياد الغرابة والشراقة، دراقة الغرابة والشراقة ، وقبائل الشعامبة ، إضافة إلى أهالي القصور المجاورة لقصر الأبيض سيدي الشيخ كقصر غاسول وسي محمد بن حمزة ، وسي أحمد بن حمزة [1].

في سنة 1839م، التحق سيدي حمزة(المتوفى سنة 1861م) على رأس فرقة من رجاله بحملة الأمير عبد القادر ضد الجيش الفرنسي في عين ماضي بالأغواط(الجزائر). وابتداء من سنة 1879م، منع الجيش الفرنسي على القبائل الرحل التنقل. كان الشيخ بوعمامة (المتوفى 1909م)، والذي هو عاشر خلفاء الشيخ عبد القادر، مجددا ومتقلدا أيضا مهمة قائد حربي. وبعد جمعه ألفي رجل من مريديه، أطلق الثورة الأولى يوم 27أبريل 1881م، قرب عين الصفراء. ومن أجل الانتقام، قام العقيد نيكريي بقصف ضريح سيدي الشيخ يوم 18أوت 1881م، وفجر الجنرال لويس العديد من القصور وكذا زاوية بوعمامة. ثم تواصلت الثورة إلى غاية 1899م. ولقد كانت إحدى أهم الثو ارت في القرن التاسع عشر بعد ثورة الأمير عبد القادر[2].

ومن بين المواقع التي حقق فيها أولاد سيدي الشيخ انتصارات كبيرة موقعة عوينة بوبكر 18 أفريل 1864الواقعة شرق مدينة البيض، حيث وصل عدد قوات سي سليمان بن حمزة إلى أكثر من ثلاثة ألاف رجل مسلحين بالبنادق والسيوف والخناجر وألحقوا هزيمة نكراء بكتيبة الضابط بو بريتر Beau Prêtre ، وقد توفي سي سليمان بن حمزة متأثرا بجراحه ، ومعركة الشلالة 1865 ومعركة أم الدبداب

1 . بودواية مبخوت، مرجع سابق، ص 355.

2 – عبد الله رزوقي ، مرجع سابق، ص 142.

1869 وغيرها، ورغم عدم تحقيق انتصارات مهمة إلا أنهم أوقفوا النزوح الفرنسي نحو الجنوب لفترة من الزمن[1].

وتبقى الفترة "العمامية" من أهم المراحل في تاريخ الطريقة الشيخية، نسبة إلى الشيخ بوعمامة، وهو محمد بن العربي من ذرية سيدي التاج أحد أبناء عبد القادر بوسماحة – سيدي الشيخ- وأنه تعلم في قصر الحمام الفوقاني ببلدة فغيغ المغربية على يد محمد بن عبد الرحمن، وقد أصبح بوعمامة مقدما للطريقة منذ سنة 1875 في الموقار، وأن أمره اشتهر بسرعة وجاءته الوفود تطلب البركة وتأتي بالزيارة للتقرب منه وطلب وده.

وأنه ثار سنة 1881وحاول توحيد أولاد سيدي الشيخ، في الوقت الذي عمل الفرنسيون على تشتيت الطرق الصوفية في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، كما عملوا على تفرقة العائلة الشيخية في إطار فرق تسد، وعزلوا بقية أولاد سيدي الشيخ عن الثائر بوعمامة، واعتبروا ثورته تعصبا دينيا؛ أما أتباعه فقد اعتبروه قطبا[2].

**4- زوايا الطريقة الشيخية:**

كانت زوايا الطريقة الشيخية بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات العلمية في مختلف أنواع العلوم والفنون والمعارف، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وطلابها بالعلم والتعليم ، والنقل والنسخ للكتب والتأليف والجمع ، وما إلى ذلك من وسائل.

**في الجزائر:**

ومنها الزاوية المركزية الأم التي بها ضريح سيدي الشيخ المؤسس ببلدية الأبيض سيدي الشيخ ، يخدمها عبيد الزاوية وحفدة سيدي الشيخ .

وزاوية سيدي الحاج الدين ببلدية بريزينة التي كان لها السبق في عقد لواء الجهاد لثورات أولاد سيدي الشيخ بقيادة سيدي سليمان بن حمزة سنة 1864، وكذلك قادة

1 – بودواية مبخوت، مرجع سابق، ص-ص 354-355.

2 – عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص242.

ثورة التحرير بناحية البيض والقائمون عليها هم سيدي فتاتي بوبكر بن الحاج أحمد، وسيدي فتاتي الطيب بن الحاج الدين ، وسيدي فتاتي حمزة بن محمد ، فهي مأوى للفقراء وإطعام الطعام وعابري السبيل ، وبها مدرسة لتعليم القرآن الكريم[1].

زاوية متليلي الشعانبية لمؤسسها سيدي الحاج أحمد بن بحوص دفين متليلي بالهضبة المطلة على زاويته بشعبة سيدي الشيخ ، وله قبة تزار هناك ، والقائم عليها نجله سيدي عبد القادر بن الحاج، وزاوية عين سخونة ولاية سعيدة ، مؤسسها هو الولي الصالح الشهير سيدي الحاج محمد بن سيدي الحاج بحوص يترأس الزاوية حاليا الشيخ سيدي الحاج محمد الطيب بوصية من والده المرحوم سيدي الحاج المختار، كما أسس هذا الشيخ مدرسة قرآنية بنواحي البيض[2].

كما تمكن الشيخ بوعمامة سنة 1875 من تأسيس زاوية دينية بمغرار التحتاني – القريبة من مدينة عين الصفراء – على الطريقة الشيخية ، وبذلك أعاد للطريقة التي أسسها عبد القادر بن محمد المتوفى في مطلع القرن السابع عشر إشعاعها وأصبحت أحد عناصر الوحدة .

لقد كانت طريقة الشيخ بوعمامة بعيدة كل البعد عما انغمست فيه الطرق الأخرى من شعوذة، وكانت متشددة في مقاومة المنكرات والانحراف عن مبادئ الدين الحنيف ، ولم تكن تعادي بقية الطرق الصوفية المتواجدة على الساحة ، بل كانت تعمل على تأليف القلوب وجمع الشمل في وقت كان الناس أحوج من يشد بأيديهم.

لقد كان لأبي عمامة ذلك التأثير الديني على أهالي القصور وقبائل حميان وذوي منيع وأولاد جرير وطرافي وبني جيل والأحرار والرزاينة وغيرهم، فنال الاعجاب والتقدير وكانت ترى فيه هذه القبائل المهدي المنتظر الذي جاء ليخلصها من بطش الفرنسيين الكفرة[3].

1 – خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 338.

2 – نفسه، ص 338.

3 – بودواية مبخوت، مرجع سابق، ص356.

أ- **في المغرب:**

لقد كان لتواجد العديد من أولاد سيدي الشيخ ومن مريدي الطريقة بالمغرب أثر إيجابي في توسيع نشاط الطريقة، ذلك أن الكثير من هؤلاء كانوا متواجدين بالمغرب الأقصى منذ ما قبل هجرة الشيخ بوعمامة سواء في عهد سيدي الشيخ أو على إثر المصادمات وسوء التفاهم الذي كان سائدا بين مختلف طوائف أولاد سيدي الشيخ، وقد جاءت معاهدة سنة 1845 بين السلطات المغربية والسلطات الفرنسية لتثبت تبعية أولاد سيدي الشيخ الغرابة للمغرب وتجنسهم بالجنسية المغربية .

ومن زوايا الشيخية بالمغرب الأقصى : الزاوية البوعمامية الشيخية التي أسسها الشيخ بوعمامة وبها مسجد كبير ومدرسة قرآنية ، وهي الآن تحت إشراف الشيخ الحاج حمزة ، وزاوية سيدي الحاج عبد الحاكم التي أسسها حفيده سيدي أحمد بن الشيخ ، وهو من أخص تلاميذ الشيخ بوعمامة ، وهي تحت إشراف ابنه الأصغر المقدم محمد المزوزي بن أحمد ، وزاوية سيدي الحاج ابراهيم التي أسسها أحد حفدته، والقائم عليها المقدم سيدي محمد بن طلحة البرهمي، وزاوية سيدي امحمد عبد الله التي أسسها أحد حفدته والقائم عليها سيدي الشيخ معزوزي ، وزاوية سيدي بحوص الحاج بن الحاج عبد الحاكم ، وزاوية مدينة الدار البيضاء التي أسسها المقدم محمد حنيفة ، والتي كانت تقوم بدور مهم جدا في الدعوة إلى الله تعالى ونشر الطريقة الشيخية[1].

فالشيخية المتواجدة مقرها بعين بني مطهر يشرف على تسييرها شيوخ شيخيون بالنسب ، توالى عليها خلف الشيخ بوعمامة منذ استقرار هذا الأخير هناك في مطلع القرن العشرين وبخاصة منذ سنة 1904، حيث كانت عبارة عن زاوية متنقلة تحت الخيام خلال تنقل صاحبها الشيخ بوعمامة في هجرته إلى المغرب ثم استقراره ببلدة

1 – خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 339.

عيون سيدي ملوك غربي وجدة ، وفي سنة 1911 نقل سيد الطيب بن بوعمامة الزاوية إلى المكان الحالي المتواجد بالقرب من بلدة عين بني مطهر[1].

وقد تواصل الاتصال بين مريدي الطريقة في الجزائر والمغرب ذهابا وإيابا، إما نحو زاوية الأبيض سيدي الشيخ بجوار ضريح سيدي الشيخ أو زاوية ماجنطة بولاية سيدي بلعباس ، حيث أسس التاج بن المنور- المتوفى سنة 1954 – زاوية الموحدين بدائرة الرقاصة بولاية البيض في الفترة التاريخية نفسها، أي في حياة سيدي الطيب بن بوعمامة[2].

وللشيخيين المغاربة إخوان لهم وبني عمومة جزائريين لهم علاقة وطيدة معهم ، وقد فرضت الأوضاع السياسية المختلفة على العديد من مواطني هذا البلد أو ذاك من أن يقوموا بدور نضالي مزدوج ، مرة مع هذا وأخرى مع ذاك، لذلك كثيرا ماوجدنا مواطنين كانوا من رواد الحركات التحررية في كلا البلدين ، كما دعم الشيخ عبد الحاكم بن سيد الطيب ، زعيم الشيخية بعين بني مطهر الثورة التحريرية الجزائرية بتسليمها فرعا من الزاوية بالمكان المسمى غفورية بالقرب من بلدة عين بني مطهر كمركز للمجاهدين في القترة مابين 1958 – 1962 ، وبجوار المكان سمح للثورة باستغلال أراضي مسقية قوامها 13 هكتار[3].

**5- الأساليب التربوية والمناهج التعليمية في زوايا الطريقة الشيخية:**

قبل الحديث عن المناهج والأساليب التربوية في زوايا الطريقة الشيخية يمكننا أن نحصي بالتقريب مكان الزوايا وعدد مريديها وطلبتها ، فنجد أنهم كانوا منتشرين، في الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر، في المنطقة الممتدة من ورقلة ومتليلي شرقا حتى الحدود المغربية.

1 – خليفي عبد القادر ، الطريقة الشيخية، الجزائر، دار الأديب ، 2006، ص 30.
2 – خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 339.
3 – نفسه، ص340.

وأن عدد أتباع الطريقة بلغ:

-سنة 1882: 2780تابعا و 39مقدما وخمس زوايا.

-وفي سنة 1897بلغ عددهم10216 :إخوانيا و 45 مقدما وأربع زوايا.

-وفي سنة 1906بلغ عدد الأتباع الرقم الأخير نفسه[1].

وتعتبر معظم زوايا الطريقة الشيخية من الزوايا التي أسست لممارسة النشاط التعليمي مثل الاعتناء بتحفيظ القرآن وتعليم الطلبة ما يلزمهم من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية ونشر القيم والفضائل الإسلامية . ومن هنا فالتعليم في هذه الزوايا وإن كان بسيطا مقصورا على الدين والأخلاق واللغة العربية فإن له أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد المسلم . فالتربية هي أرضية التعليم والسلوك القويم لأهل طرق التربية والتعليم لذلك حرص شيوخ هذا النوع من الزوايا كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم كما عملت أيضا على إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة . كانت أيضا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم ، الفنون وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالنسخ والنقل والتأليف والجمع ونشر الدين الإسلامي في الأماكن التي يصلون إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية[2].

إن أهم أعمال الزوايا في أوقات السلم هو التربية والتعليم إلى جانب القيام ببعض الأعمال الخيرية كإطعام المساكين وإيواء ابن السبيل . والذي يهمنا حاليا هي البرامج والطرق المطبقة في التعليم والتدريس المتبعة في هاته الزوايا . ليس للزوايا في مرحلة الدراسة مناهج منظمة من ناحية الكتب والامتحانات وتوزيع الطلاب على سنوات الدراسة حسب أعمارهم ومستواهم العلمي ، والتفتيش والنظم التعليمية وإنما كان

1 – عبد القادر خليفي، مقدمة: قراءة في الطريقة الشيخية لأبي القاسم سعد الله من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص243.

2 – طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، في، مجلة معارف، مجلة علمية محكمة، ع14، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة البويرة، أكتوبر 2013، ص 140.

التعليم يسير فيها بطريقة تقليدية بحيث كان الطلبة يتابعون الدراسة لعدد من السنين قد تقصر أو تطول . يدرسون كتاب أوكتابين في الفقه المالكي . وغالبا ما يكون شرح الدردير ، وسيدي خليل (بأجزائه الأربعة) يكررونه عدة مرات في عدد من السنوات إضافة إلى كتاب أو كتابين في البلاغة بعد حفظ القرآن الكريم كله حفظا جيدا [1].

وبما أن منهاج الإسلام في الأخلاق هو كتاب الله الذي يحفظ ويتلى وتبذل الجهود – وإن كانت محدودة– لفهم آياته وخاصة ما ينطق منها بالعقيدة والدين والأخلاق . فإن الزوايا أخذت هذا المنهج كأرضية يقوم عليها التعليم ، وإن كان هذا التعليم يقتصر على الدين واللغة العربية والتربية الروحية والخلقية فإنه القاعدة التي ترسى عليها حياة الفرد والمجتمع في هذه الزوايا [2].

إن حالة الزوايا في التعليم هي حالة معاهد التعليم العربي اليوم، فإننا نجد أن التعليم فيها مايزال على الأسلوب القديم فيبتدئ بحفظ القرآن الكريم وشتى المتون والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه والنحو والصرف إلى آخره، لذلك فإن مناهج هذا النوع من التعليم بقيت على حالها منذ قرون دون أن يدخل عليها تغيير يذكر . ويستثنى من ذلك التعليم الذي كان في بعض الزوايا، وهي قليلة مثل زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة وزاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بمنطقة جرجرة وزاوية الهامل بالقرب من مدينة بوسعادة . فقد كانت هاته الزوايا على درجة من التنظيم في برامجها الدراسية[3].

- **طرق التدريس** :

إن أهم الطرق التعليمية أو التدريس السائدة في الزوايا تعتمد على طريقة الحفظ والتلقين أو طريقة المادة التي تعتمد على الإلقاء والإملاء من جانب المعلمين

1 – تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 267.

2 – محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن ، دار الفكر ، الجزائر ، 1988، ص15.

3 – نفسه، ص 15.

والاستماع والحفظ من جانب المتعلمين وهي الطريقة التي يكون فيها موقف المتعلمين سلبيا في معظم الأحيان.

فالمعلم هو الذي يعد الدرس وهو الذي يشرح وهو الذي يحلل ما يحتاج إليه من التحليل والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم بالقبول والتسليم في معظم الأحيان، والطلبة يجلسون في حلقات داخل الجامع (مسجد الزاوية) أو (مسجد الطلبة) حول الشيخ كما كان العمل جاريا به في الأزهر الشريف – قبل تحويله إلى جامعة حديثة– فكانوا يستمعون الدرس المقرر عليهم، ولازالت نفس الطريقة في التدريس متبعة في معظم زوايا الشيخية عبر الوطن وفي المغرب الأقصى وبنفس الكيفية التي كانت عليها في الماضي . وعلى كل طالب يصل إلى درجة معينة من العلم يجازى ويتولى تدريس وتعليم من هم أقل منه مستوى [1] .كما أن مشايخ الزوايا هم الذين يتولون النظر فيما ينبغي اقتناؤه من الكتب وتكليف الطلبة بمطالعة الكتب غير المتداولة وكتب المقامات وسير الملوك وما شابه ذلك من الكتب القديمة النادرة التي تنفتح أبصارهم على المعارف الجديدة.

**خاتمة**

لقد كان أهم ما قامت به زوايا الطريقة الشيخية في العهد الاستعماري هو المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء المسلمين كتابة ورسما وتلاوة وتجويدا ، حتى لا تمتد إليه يد التحريف والتغيير ويتلى في الصباح والمساء في المساجد والبيوت فردا وجماعة.

كما لعبت زوايا الشيخية دورا بارزا أثناء الاستعمار الفرنسي ، فقد كانت المصدر الرئيسي الذي قاد حركة المقاومات الشعبية في كثير من المناطق، واستطاعت أن تمون الثورة التحريرية بالكثير من المجاهدين عبر ربوع الوطن، فبعض الزوايا التحق جل أعضائها بالجهاد بحيث كانت مركزا استراتيجيا . فزوايا الطريقة الشيخية على اختلاف أماكنها كانت تصب في وعاء واحد وهو الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية.

1 – تركي رابح، مرجع سابق، ص 294.